

بناتنا والحجاب



الجمعة 27 أغسطس 2021 03:39 م

إن الحجاب هو أحد أهم القضايا الإسلامية وعلى الرغم من ذلك فإن حاله بين المسلمين اليوم يدعو للحسرة؛ فقد بدأت نسبة لا بأس بها ممن يرتدين الحجاب في التراجع التدريجي عنه، ومسخه بشكل يُفقد الهدف منه؛ ولعل ذلك يرجع إلى أسباب عديدة، منها المشكلات النفسية الناتجة عن التفكك الأسري، أو انشغال الوالدين، أو ضعف الإيمان، أو قلة التوكل على الله عز وجل؛ ومنها الانقياد لشياطين الإنس والجن، أو الاكتفاء بالحجاب باعتباره غاية المنتهى في طاعة المرأة لربها فإذا عُرف السبب بطل العجب، وأصبح حل المشكلة أيسر.

أما الأجيال الجديدة القادمة، فيمكننا أن نتدارك أمرها بتعليمها حب الحجاب منذ الصغر، فتنشأ الفتاة وهي تحلم بيوم بلوغها سن التكليف لتتشرف بارتداء حجابها، إرضاءً لربها، واعتزازاً بعفتها وحياتها فتصير لؤلؤة مكنونة وجوهرة مصونة كما أراد لها الله سبحانه!

وفيما يلي تحاول كاتبة هذه السطور بلوغ تلك الغاية السامية؛ فما جاء بها من صواب؛ فهو من توفيق الله العليم الحكيم وفضله، وما كان من خطأ فمن نفسها والشيطان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

1- ما هو الحجاب؟

هو ما يحجب مفاتن المرأة وعوراتها التي تتمثل في كل جسدها ما عدا الوجه والكفين والدليل: حديث عائشة رضي الله عنها الذي قالت فيه إن أسماء بنت أبي بكر دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم، وعليها ثياب رفاق فأعرض عنها، وقال: "يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفيه"

وبشروطه:

ألا يصف فيكون فضفاضاً، وألا يثيف لا يُظهر ما وراءه، وألا يلفت النظر، ألا يكون به من الخلي والزينة - أو أن تكون ألوانه - مما يخطف البصر، وألا يكون معطرًا، وألا يشبه ملابس الرجال، وألا يُقصد به الشهرة والتباهي به أمام الخلق.

فالمقصود من الأمر بالحجاب إنما هو ستر زينة المرأة، فلا يعقل حينئذ أن يكون الحجاب نفسه زينة، ولا يعقل أن تعتقد المرأة أن قدميها ليستا بعورة فتظهرهما، أو تحاول إخفاءهما بجورب شفاف يزيدهما حُسنًا!

أ- لأنه أمرٌ صريح من الله ورسوله، وقد أمر الله سبحانه النساء بالحجاب، قائلاً: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُنْنَ مِنْ أَنْصَارِهِنَّ وَيَخْفَتْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا } [النور: 31] وقال أيضاً: { وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى } [الأحزاب: 33] وقال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَلْأَزْوَاجِ كَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ } [الأحزاب: 59] أما أمر الرسول الكريم به فهو حديث عائشة المذكور سابقاً.

ب- لأن الحجاب طاعة لله عز وجل وطاعة للرسول صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يقول في كتابه العزيز: "وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخيرة من أمرهم" (36-الأحزاب)

فهو بالتالي فرض على كل مسلمة بالغه كما جاء في القرآن والسنة.

ويكفي أن نعلم عن ثواب الطائعين لله ما جاء في القرآن الكريم:

- "ومن يطع الله ورسوله يُدخله جناتٍ تجري من تحتها الأنهارُ خالدين فيها وذلك الفوز العظيم" (النساء-13)؛
- "ومن يطع الله والرسولَ فأولئك مع النبيين والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً" (النساء-69)؛
- "ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون" (النور-52)؛
- "ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً" (الأحزاب-71)؛
- "ومن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ؛ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعْذِبْهُ عَذَاباً أَلِيماً" (الفتح-17)

ج - لأن الحجاب إيمان؛ فالله سبحانه وتعالى لم يخاطب بالحجاب إلا المؤمنات فقال: { وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ } وقال أيضاً:

{ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ }

د- لأنه يميز العفيفة عن غيرها؛ فتسلّم من المضايقات، وتعرّض الفساق لها بالأذى؛ لقوله تعالى: "يا أيها النبي قُلْ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ، ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً" { الأحزاب/59}.

هـ- لأن الحجاب حياة وستر، والله حيي يحب الحياء، سيّير يحب الستر قال صلى الله عليه وسلم في الحياء: " إن لكل دين خُلُقاً، وإن خلق الإسلام الحياء" وقال: " الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة"؛ وقال: "الحياء خير كله".
و- لأن جسد المرأة أمانة أعطاه الله تعالى إياها؛ وما أحرأها بأن تحافظ على هذه الأمانة، فلا إيمان لمن لا أمانة له.

ز- لأن الحجاب تكريم، فلقد كرم الله سبحانه بني آدم على سائر المخلوقات بعدة أشياء منها ستر عوراته، حياً وميناً؛ وحجاب المرأة ستر لعوراتها، فكيف تهين نفسها؟!؛

ح- لأن الحجاب طهارة، والدليل قوله تعالى: { وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ } [الأحزاب: 53] ولعله -سبحانه- وصف الحجاب بأنه طهارة لقلوب المؤمنين والمؤمنات لأن العين إذا لم تر لم يشته القلب، ومن هنا كان القلب عند عدم الرؤية أظهر، وعدم الفتنة حينئذ أظهر لأن الحجاب يقطع أطماع مرضى القلوب: { فَلَا تَخْصَنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ } [الأحزاب: 32].

قال تعالى: { يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ } [الأعراف: 26] ط- لأن الحجاب غيرة فهو يتناسب مع الغيرة التي جبل عليها الرجل السوي الذي يأنف أن تمتد النظرات الخائنة إلى زوجته وبناته، وكم من حرب نشبت في الجاهلية والإسلام غيرة على النساء وحمية لحرمتهم، قال علي رضي الله عنه: "بلغني أن نساءكم يزاحمن العلوج -أي الرجال الكفار من العجم - في الأسواق ألا تغارون؟ إنه لا خير فيمن لا يغار".

ولعل فيما حدث عند مقتل عثمان بن عفان - رضي الله عنه- عبرة وعظة لكل ولي أمر من المسلمين؛ فقد حاولت زوجته "نائلة" أن تدفع عنه الثوار بخلع خمارها، لعلهم إن رأوها استحووا وانصرفوا، ولكن عثمان أبى وقال: "والله لأن أقطع تقطيعاً أحب إلي من أن يرى رجل منك خصلة شعر واحدة!!!"

3- ما هو حب الحجاب؟

هو أن تشعر المرأة بأن الحجاب جزء من جسدها، وأنه سترها، وأداة حيائها، وعنوان عفتها، وطريقها لحب الله تعالى لها، وسلمها إلى الجنة.

4- لماذا نسعى لترغيب بناتنا -منذ الصغر- في الحجاب؟

أ- لأن الآباء والأمهات أو المرين سوف يقفون بين يدي الله تعالى ويسألهم عن بناتهم كيف ربيهن، ولماذا لم يأمرهن بطاعة الله، يقول صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته" هذا بشكل عام، أما بالنسبة للرجال من أولي الأمر كالزوج والأب والأخ فإذا لم يأمر نساءه بالحجاب ويرغبهن فيه أصبح ديوتا أي لا يغار على حرمة نساءه)، والديوث لا يدخل الجنة.

ب- لأن الإسلام يأمر بتدريب الصغار على العبادة قبل التكليف بها أي قبل بلوغهم؛ فالصلاة مثلاً فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بأن ندرّبهم عليها منذ السابعة، ونضربهم عليها في العاشرة، وذلك قبل بلوغهم سن التكليف؛ وقد اختص الرسول صلى الله عليه وسلم الصلاة من بين العبادات لكونها عماد الدين ((.

والحجاب-كالصلاة- فريضة على المسلمة، بأمر صريح من الله ورسوله كما تقدم.

ب- لأننا لو أطلقنا لهن الحرية منذ الصغر في ارتداء ما يشأن-تقليداً لأخريات من غير الملتزمات- دون حزم أو توجيه، فسوف يعتدن هذا، ثم يفاجأن - حين يصلن لسن التكليف- بمن يأمرهن بالحجاب، فتكون كالصدمة بالنسبة لهن؛ مما يؤدي إلى صعوبة الأمر عليهن وعدم قدرتهن على تنفيذ هذا الأمر، بينما لو علمناهن حبّ الحجاب والافتناع به منذ الصغر لطلبن ارتدائه من تلقاء أنفسهن، قبل أن يؤمرن بارتدائه) .

ج- لأنهن لو لم يُحببتهن ويقتنعن به منذ الصغر؛ فقد يرتدين بالإكراه خوفاً من أولي الأمر، مما يؤدي إلى تحايلهن- بعيداً عن أعين أولي الأمر - بشتى الطرق لمسخه وإخراجه عن وظيفته -كما حدث حين انقسمت المحجبات إلى فئات- أو حتى خلعته، وهذا يتنافى مع ديننا السمح، لأن الله تعالى يقول: "لا إكراه في الدين"، كما أن هذا يتنافى مع تعليمهن تقوى الله في السر والعلانية.

